وقاية العرب- المسلمين من الاخطاء والتطرف باسم الدين

الأستاذ الدكتور/محمد زياد حمدان

سبتمبر ٢٠٠٨

mhamdanz@yahoo.com

مقدمة

نرتكب نحن العرب- المسلمون بقصد أو بدونه أخطاءً كثيرة لا مبرر لها في معظم الأحيان. كما يتّهمنا الغرب خاصة بالتطرف الديني والإرهاب وبنُعوت أخرى شخصية وغير مُنصفة في الغالب. فلماذا يتصرّف البعض منا أحياناً بهذا الإهمال أو الجهل السلوكي؟ ولماذا نقبل لأنفسنا النزول من العُلا الحضاري والقيادي الذي عُرفنا به عبر العالم خلال سبعة قرون متواصلة (القرن السابع- القرن الرابع عشر الميلادي) إلى أسفل سلّمه بامتياز؟ وكيف يمكننا وقاية أنفسنا من الأخطاء واتهامات التطرّف الديني التي يُلصقها الغرب بنا على مدار الساعة لأغراض في نفسه: كيدية أو/ وصولية مُنحرفة في الغالب ولبعض المبررات أحياناً؟

نحاول في هذه الدراسة استطلاع الوضع السلوكي الراهن في البيئات العربية- الإسلامية، والتعرّف على مواطن الخلل السلوكي الذي نرتكبه، ثم طرح حلول براغماتية وموضوعية ممكنة من أجل خروجنا مع بقية الدول والمجتمعات العالمية الأخرى (التي هي ليست أفضل حالاً منا) من مآزق الخطأ والعنف التي نوقع أنفسنا فيها إلى آفاق أرحب: أكثر تواصلاً وفهماً وتفاهماً سلمياً في نظرتنا المحترمة للآخر وفي علاقاتنا البينية الإنسانية والعملية المشتركة مع أنفسنا في الداخل والأمم الأخرى في الخارج.

أخطاء يرتكبها مسلمون انحرافاً عن الإسلام

كثيرة هي الأخطاء التي يرتكبها مسلمون انحرافاً عن الإسلام، بقصد أو بدونه أحياناً. ينطبق هذا الأمر بطبيعة الحال على كافة الأمم في الأديان الأخرى. ولكننا نظراً لاهتمامنا بموضوع الإسلام المدني في البيئة العربية- الإسلامية، فنحن معنيون بهذا في الدرجة الأولى "بإصلاح بيتنا من الداخل"،، على أمل أن يصلح حالنا وتستقيم حياتنا أكثر وندخل مرة أخرى بفعالية في الحركة الحضارية العالمية المعاصرة كما ازدهر العرب المسلمون خلال سبعة

قرون متواصلة ماضية (القرن السابع- القرن الرابع عشر). نقدم فيما يلي عينة توضيحية للأخطاء التي يتم ارتكابها من البعض بإسم الإسلام أو انحرافاً عن التعاليم الحقيقية التي أُنْزل بها.

أخطاء يرتكبها الخاصة في الاجتهاد والفتوى النابعة من الجهل او المنفعة الشخصية

ان التفسيرات المصلحية أو الخاطئة التي يُسقطها البعض جهلاً أوعدواناً على الإسلام والنصوص القرآنية والسنة النبوية المتواترة، فَرَضت على المسلمين قيوداً لا معنى أو مبرر لها في عدة أحيان، ودفعت البعض في الخارج إلى عدم فهم الإسلام وللتصرّف بعصبية وتمييز عنصري ضد المسلمين كما يلاحظ الآن في البلدان الغربية بوجه عام.

كما أن تزمّت بعض الجهات أو المرجعيات الدينية المعاصرة في تمسّكها بآراء واجتهادات الفقهاء والمُفسرين الأوائل الموروثة منذ أكثر من ألف ومائتي سنة وإسقاطها حرفياً على مواقف وأحوال الناس في القرن الواحد والعشرين، يؤدي الى مخاطر عقيدية وشرعية كبيرة، أهمّها انفصام العلاقة بين الدين والواقع المُعاش للناس نتيجة عدم كفاية أو فعالية الاجتهاد الموروث تماماً في علاج مشاكل الحياة اليومية.

وبنفس المنطق، فان دعوات التجديد الإسلامي القادمة من الغرب لأغرض مُلتوية غير نزيهة كما يلاحظ، بحثّ الجهات العربية- الإسلامية الرسمية على تغيير مناهجها فيما تحتويه من نصوص قرآنية وأحاديث نبوية شريفة، وحتى التجاوز السياسي غير اللائق لبعض الجهات بطلبها حذف آيات وأحاديث محددة من القرآن والسنّة.. هي أيضاً مرفوضة بالمطلق، ولا يجب الرضوخ إليها مهما كانت الضغوط حيناً وابتزازات التهديد في أحيان أخرى.

ان الاستجابة لمثل الدعوات الخارجية الميكافيللية أعلاه سيُكلّف المجتمعات العربية- الإسلامية هويتها الثقافية- الحضارية ويُعرضها لردّات فعل شعبية وهزّات عُنفية غير مسبوقة من قوى وقطاعات واسعة: أكاديميين ومثقفين ومُتنفذين وعاديين. وكما يتوقع بهذا الصدد من الدول الوطنية النامية أن تستمع وتتعاون مع الغرب في مواضيع ترعى الصالح والسلم العالمي العام مثل محاربة الإرهاب، ولكن ليس أبداً للدرجة التي تقبل بها تغيير دينها السماوي المقدس وخصوصية ثقافتها،، تماماً بنفس القياس الذي لا نرضى به للعرب-

المسلمين ممارسة الضغوط لتغيير الدين السماوي أوغير السماوي لدول الغرب والشرق. ان المطلوب منطقياً من كافة الجهات هنا حتى تستقيم أمورها في الداخل وعلاقاتها الدولية في الخارج، هو التطبيق المدني للدين الذي تعتقده، دون الانحرافات والاجتهادات والرغبات الخاطئة التي ترتكبها بحق نفسها ومواطنيها في الداخل، والآخرين في البيئات العالمية الأخرى.

ومن هنا ندعو إلى المبادرة بحركة جديدة ثانية لإحياء علوم الدين بعد الغزالي رحمه الله، بقيام جماعات مستنيرة من الفقهاء العلماء (دون فقراء المعرفة،" أوالدراويش" والموظفين المنتفعين وفقهاء السلطان) بتأسيس مَجْمع أو رابطة أو جمعية لدراسة موضوعية ومنفتحة لعلوم الدين ومصادر ومذاهب الاجتهاد السابقة بدءاً من الخلافة الراشدة وحتى نهاية القرن العشرين، ومن ثم إجراء مقارنات تحليلية علمية جادة لكافة التفسيرات والاجتهادات وغربلتها وتحديثها، وطرح أخرى جديدة في ضوء مقتضيات الحياة المعاصرة في كل المناحي الدنيوية التي يعيشها ويعمل فيها الإنسان.

وما لم تقم هذه الحركة التجديدية لإحياء علوم الدين ومبادرة جماعات من الفقهاء المستنيرين بالاجتهاد والتفسير الحديث لنصوص القرآن والسُنة باعتبار ما تمّ من اكتشافات علمية وتطورات متنوعة في مجالات المعلومات والتكنولوجيا والفضاء والصحة والاجتماع البشري ثم متطلبات الإنسان للتصرف الناجح في الحياة المعاصرة، فسيبقى الإسلام متهماً بالرجعية، والمسلمون مُعرّضون للمُساءلة والشكوك في نواياهم وسلوكهم وقدراتهم على التقدم والإبداع.

أخطاء في الاجتهاد والفتوى نابعة من الجهل

من المُلفت للنظر صدور اجتهادات وفتاوى قاطعة من البعض لا تمتّ بصلة الى تعاليم الشريعة، أو على الأقل هي مثار خلاف كبير بين الفقهاء. ان عديداً من هذه الاجتهادات والفتاوى تتصل بوضع المرأة ودورها وسلوكها في المجتمع. مثل ذلك: "خروج المرأة من البيت فتنة".. و"المرأة مكانها الطبيعي (الشرعي) هو البيت"؛ و"وجه المرأة عورة" و"كلامها أو صوتها عورة" حسب ادعاءات مسموعة من بعض المجتهدين المعاصرين!

ولا ينقص هؤلاء إلا القول بأن وُجود المرأة في الحياة هو عورة! الأمر الذي يجب وَأْدها كما فعل الجاهليون قبل أكثر من ١٥٠٠ سنة؛ ناسين أنهم بهذا

يقعون في المحظور بارتكابهم مُحرمات نهى عنها الإسلام منذ بدايته المبكرة الأولى، مما يصبح وجودهم هم في الإسلام عورة يجب التعامل معها بحزم، نظراً لإمكانية الحكم عليهم كمرتدين تماماً مثل بعض القبائل بمنطقة نجد في جزيرة العرب أيام الخليفة أبو بكر حين امتنعت عن دفع الزكاة بعد وفاة الرسول(ص).

ومهما يكن، فقد لوحظ في الآونة الأخيرة كثرة الجهل في الفتوى والاجتهاد والتفسير التي يُصدرها أفراد حسنوا النية، لكنهم غير مُتعّمقين في ثلاثة أساسية في رأينا هي:

- علوم الدين في القرآن والسنة المتواترة ثم في مصادر الاجتهاد الرئيسة الأولى المتداولة،
- وطبيعة العصر والحياة المعاصرة الآن،
- وشؤون وحاجات الناس المعاصرة؛

وإذا أتقن أفراد هذه الفئة بفطرتهم السليمة معرفة المجالات الثلاث أعلاه وخبروها قولاً وعملاً في واقع الحياة اليومية، فسيتحقق على يدهم إحياء علوم الدين المدني وإصلاح حاضر ومستقبل الناس، بما في ذلك انفتاح العرب المسلمين المستنير غير المشروط على الآخرين في الأمم والأديان والحضارات الأخرى.

أخطاء في الاجتهاد والفتوى نابعة من المنفعة الشخصية

هناك أيضاً مجتهدون سيئوا النيّة يلهثون وراء منافع شخصية آنية، منها ما يلاحظ التالي:

- المال الذي يحصلون عليه من جرّاء كلمة او رأي او فتوى او استشارة او حديث عام او ندوة او برنامج إذاعي او فضائي او غيرها. ويلاحظ على بعض هؤلاء تطويع الفتوى او الاجتهاد أكثر لحاجات ومواقف الناس كلما دفعوا مادياً إليهم أعلى.

- الحصول على حظوة او مرتبة لدى جهات ذات نفوذ أيًا كان نوع او مجال هذا النفوذ. وهؤلاء هم "فقهاء السلطان" الذين يسعون في الواقع الي كسب منفعتين في آن: المرتبة الرسمية الخاصة والمال الذي يأتي تلقائياً من جرّائها.

opeikandi.com

٧ الشهرة الإعلامية المسموعة والمرئية بتداول الاسم لدى العامة عن طريق برامج في الفتوى او النُصح والإرشاد الديني، او تفسير النصوص والأحاديث، او تناول مواضيع ومواقف وطرائف حدثت مع الصحابة والتابعين أو غيرها مما يجري. وتبدأ مع هذه البرامج الإعلامية حملات النشر والتسويق التجاري للكتب والكتيبات و"الكاسيتات المسموعة" و"سيديات الكمبيوتر" ،، ومرة أخرى تجني هذه الفئة مَنْفعتين في آن: الانتشار الإعلامي المطلوب والمال العائد من التسويق.

ولا ضير في رأينا في سعي الأفراد وراء المال او "الحظوة بصحبة السلطان" او السمعة الإعلامية او كليها. فكل إنسان له أهداف يطمح إلى تحقيقها. لكنّ ما نأخذه على البعض هو "اللهث" وراء أهداف أنانية غير مشروعة او/ وعلى حساب الله والناس.. تماماً كمعارضتنا لبعض المشتغلين في التربية على سبيل المثال الذين يعملون وعُيونهم على الراتب في آخر الشهر دون التلاميذ او الطلبة الذين يُربّونهم او يدرّسون لهم.

ومما يُخيّب الأمل هو ان مع كثرة المُفتين والمجتهدين والمُحدّثين المعاصرين باسم الدين، وتعدّد ما يُنشئون من محطات إذاعية وفضائية، ويقدمون من فعاليات وبرامج لدرجة يصعب حصرها أحياناً،، يلاحظ:

١- تنوّع انحراف الشبيبة وتفاقم مشاكلهم لدرجات غير مسبوقة منذ تاريخ العرب الجاهلي قبل ألفي سنة.

٢- ارتكاب الكبار بمختلف توجّهاتهم وصفاتهم الرسمية او الشعبية لأخطاء او خطايا لا تُعدّ فقط خروجاً عن الدين بل أيضاً تجاوزاً للعقل وسويّة حدوث الأعمال والأشياء وحدود المسؤوليات الملقاة على عاتقهم.

٣- التكّتل حول الذات بأنانية مفرطة شاذة.. فالكثير يركز على استغلال الكثير وتحقيق ما يريد على حساب مصلحتهم.

٤- تفاقم مشاعر الكراهية ورفض الآخر، ليس فقط نحو المُختلف من أعراق وأديان أخرى، بل أيضا نحو أبناء الجلدة الواحدة او نفس الدين في القطر او المنطقة الإقليمية الواحدة.

٥- تكاثر جماعات التطرف الديني بما تتبناه من أجندات فكرية وعُنفية وما ترتكبه من تفسيرات خاطئة للدين وسلوكيات دموية، يستعص فهمها او تبريرها

في أغلب الأحوال.

وبالطبع، لا نلوم "المشتغلين في شؤون الناس الدينية" أو الذين اتخذوا من الدين مهنة او وظيفة لجني أرباح مادية يومية على المآخذ أعلاه، لأن هناك عوامل رسمية وبيئية أخرى تتقاطع مع سوء او عدم فعالية الرسالة التي يقومون بها، وتفرز بالنتيجة الحالة البائسة التي يعيشها الناس والمؤسسات في البلدان النامية. ولكننا نقدم لإصلاح عمليات الفتوى والاجتهاد وضبط نوعية العاملين فيهما وجدوى مخرجاتهما، المقترحات التالية:

١- تأسيس مجلس أعلى مستقل للاجتهاد في كل دولة/مجتمع، يضم خيرة الفقهاء في ثلاث: الدين، وتطورات العصر، وشؤون الناس. وإذا تعذر امتلاك هذه الكفايات الثلاث في شخص واحد، عندئذ يضم المجلس بالإضافة لفقهاء الدين، علماء باحثين مشهود لهم في التربية وعلم النفس والاجتماع والسكان والعلوم الطبيعية والإنسانية الأخرى. يجتمع هذا المجلس مرة كل شهرين أو ثلاثة بما في ذلك إمكانية الاجتماع في الحالات الطارئة، لمناقشة ما يتوفر من مواضيع لدى الأعضاء، إضافة إلى ما يرد منها من المحافظات والمدن في البيئة، واتخاذ القرارات المطلوبة لكل منها.

٢- تأسيس لجان ميدانية مقيمة من علماء فقه الدين المستقلين (وليس فقه السلطان) في المحافظات او المناطق، بما في ذلك أيضًا المدن والأرياف، لجمع المواقف والحالات التي تحتاج إلى اجتهاد وإفتاء، وتقريرها الى مجلس الاجتهاد الأعلى شهرياً.

٣- إصدار دورية ربع او نصف سنوية تضم قضايا ومواضيع الاجتهاد والإفتاء التي تمّت معالجتها مع التوضيحات/التبريرات الدينية والتطبيقية الخاصة بكل منها،، وتوزيعها على عموم الأسر بدون مقابل أو بسعر التكلفة. كما يمكن هنا أيضًا إصدار كتاب سنوي لنفس الموضوع.

أخطاء يرتكبها العامة انحرافًا عن الإسلام

هناك أخطاء كثيرة يرتكبها العامة جهلاً أو إهمالا حينًا، او إصرارًا حينًا آخر. فالزواج من الأقارب مثلاً المكروه معًا في الدين وعلم الوراثة لا يزال ممارساً في البيئات العربية وخاصة في الأرياف. أما أخطاء الجهل والسلوكية الأخرى بالإصرار عن طريق العنف فهي قاتلة ولا تحصى. ولنورد الأمثلة القليلة التالية.

في الهند(١)، جرى حديثًا رفع دعوى قضائية من أسرة في مدينة بومباي لها ابنتان في المدارس، ضد مجموعة من المُتشددين الذين اعتدوا على الابنتين خلال ذهابهما الى المدرسة بحجة ان مكانهم الطبيعي هو البيت. ومن المدهش هنا ان الشخص المُحرك الرئيسي لهذه المجموعة ينتمي الى بوليس الآداب الهندي. **أما في سيرالانكا**[٢]، قامت جماعة من المتطرفين "أمام أعين" سلطات البوليس المحلي بتهديد أتباع مذهب إسلامي مُغاير بالعنف والقتل اذا لم يوقفوا ممارسة شعائرهم الدينية التي يمارسونها آبًا عن جدّ منذ مئات السنين. ومع فرض حظر التجوال على المنطقة، إلا أن المشكلة بقيت قائمة.

أما في بيئاتنا العربية، فأخطاء الأفراد والجماعات المنحرفة عن الإسلام هي شاملة لا تحصى. ففي الاقتصاد حيث الغش والتزوير ونقص الميزان والتلاعب بالأسعار و"أكل حقوق الناس" او المماطلة لسنوات أحيانًا في أدائها، وحوادث السرقة بدءًا بالأشخاص والسيارات والممتلكات الخاصة والبيوت والمحلات التجارية والبنوك ومصالح الدولة إلى انتحال المعلومات حتى من بعض نخب المجتمع: أساتذة الجامعات! وفي السياسة، تطغى أساليب القهر والمصادرة والتهجير أو النفي والاعتقال والسجن طويل المدى، ويتم ارتكاب أعمال التعذيب والاغتيال والقتل أو التصفية الجسدية وكأنها عادات متعارف عليها يوميًا!

وفي الشأن الاجتماعي، يلاحظ الكذب والتلفيق والمناورة والخداع والمداراة أو النفاق والحسد والحقد الأعمى والقيم المزدوجة أو "الأقنعة المزدوجة او المتعددة" حتى من نفر من الأكاديميين الجامعيين او المثقفين،، حتى بلغ الغيظ بأحدهم أن شَطّبَ بمفتاح معدني اسم زميل له ذي شأن، مكتوب على لوحة معدنية بجانب بابه المنزلي! وفي التعامل مع الطفل والمرأة،فحوادث الظلم والاستغلال والاعتداء عديدة ومتفاقمة في آن. كثيرة لسوء الطالع هي أخطاؤنا. وبقدر ما نعيش قريبين شكليًا من تاريخ ومقدسات الإسلام، نعيش ونتصرف بصيغ غير مدنية بعيدة جدًا كما يلاحظ عن مبادئ وتعاليم الإسلام المدني.

تحييد التطرف الديني بعولمة المعرفة والاتصال والتسامح المشترك

إن إحياء الإسلام العادل المتسامح والموضوعي هو كفيل بالقضاء على التطرف والإرهاب والقهر والظلم والعادات الشاذة، الأمر الذي يؤدي في النهاية إلى هزيمة المتطرفين الذين يرتكبون أخطاء فادحة باسم الإسلام[٣].

إن عملية إحياء الإسلام بتعاليمه الأولى الأصلية التي بشر بها الرسول محمد (ص) ومارسها الخلفاء الراشدون، هي قادرة على توفير السلام والتقدم والتوافق بين الناس وتعزيز الاحترام للجميع: مسلمين وغير مسلمين. كما ستُشعر عملية الإحياء غير المسلمين بأنهم غير مُهدّدين في حياتهم وأمن أنفسهم من متطرفين باسم الإسلام، كما يتحرر المسلمون من أعمال القهر والاحتلال التي تشنها بلدان غربية باسم الحرية والديمقراطية ومحاربة الإرهاب.

ونؤكد هنا بأن تحييد أعمال التطرف الديني والقضاء على الإرهاب والحدّ من فعالية الإرهابيين لن تتم بالعسكر والغزو والحملات العسكرية الدموية، وملاحقة وحجز حركة وحريات الأفراد في المطارات وأماكن سكناهم وأعمالهم كما يجري حالياً من الأمريكان والأوروبيين ووكلائهم عبر العالم. ان تطوير المعرفة الإنسانية، والاتصال المستنير المفتوح مع الآخر، وقبوله في البيئة والتسامح في ممارسة فكره ومعتقداته ضمن النظام العام للمجتمع،، هي فقط الوسائل الإستراتيجية المثلى لتحييد أعمال التطرف الديني وصيانة التعايش والسلم العالمي ومواصلة نهضة الإنسان.

تحييد التطرف الديني بعولمة معارف الأديان ثم المرأة والطفل والأسرة، والديمقراطية، وحقوق الإنسان .

إن الفرق الأساسي بين الغرب المتقدم والوضع العربي المتأخر هو المعرفة. إن ما ينقصنا بدرجة رئيسة هو المعرفة المعاصرة في مختلف المجالات الدينية وغير الدينية التي تمكننا من التفكير وصناعة القرار والحكم والمناقشة والتفاوض والوصول إلى تسويات بناءة وللإبداع والإدارة الهادفة للناس. وسيبقى العرب خلف العالم حضارياً، والأخطر سيبقون تابعين للغير في كل قراراتهم ومجالات حياتهم اليومية اذا استمروا في عدم المعرفة: دنيوية ودينية بحدٍ سواء.

وعيب التطرف الديني لا ينبع من الأديان بل يكمن في الناس غير المدنيين المحسوبين على هذه الأديان عبر العالم. وان أسهل وأنبل الطرق للتخلي عن التعصب والإرهاب ورفض الآخر، تبدو كما نرى بعولمة المعرفة عموماً وما يتصل منها بالأديان، وحقوق الإنسان، والمرأة والطفل والأسرة، والديمقراطية. ان آليات استنبات هذه المعارف الحاسمة في القضاء على التطرف الديني والإرهاب هي كما يلي:

١- تنمية الثقافة الدينية بالقراءة الحُرّة والمقصودة الرسمية لأدبيات الأديان من مصادرها الأساسية الأولى وفهم نصوصها بمنأى عن الانطباعات والمعلومات الشخصية المسبقة. ونحن هنا لا ندعو الناس لأن يصبحوا خبراء في الدين الآخر، بل أن يعرفوا قيمه وأخلاقياته التي تجعل الناس في البيئة يتصرفون بالطرق المدنية التي يبدون فيها. ان معرفة الدين الآخر تُزوّد الأفراد والجماعات بفهم ما يجري من الناس في الواقع ثم تنبؤ ما يمكن عليه تعاملهم وسلوكهم في المستقبل.

ونقترح عالمياً في هذا الإطار استحداث الأنظمة التعليمية في أي قطر بدءاً من الولايات المتحدة وكندا والبرازيل غرباً مروراً بأوروبا والشرق الأوسط وإفريقيا وانتهاءً بالصين واليابان واندونيسيا واستراليا شرقاً وجنوباً، مادة دراسية مقررة عالمياً في المرحلة الثانوية باسم: **"علوم الأديان"**، يعدّها فقهاء وخبراء وعلماء مشهود لهم في مجالات الأديان والمناهج وعلم النفس التربوي وغيرها مما يناسب،، تندبهم منظمة اليونسكو بتفويض أو موافقة رسمية من أقطارهم. يَدْرس في هذه المادة العالمية جميع الطلبة من كافة الطوائف والأديان السماوية والوضعية: تواريخ نشوئها وتعاليمها وشعوبها عبر العالم وآداب تعاملها والانجازات الحضارية المرتبطة بها. إن الفوائد التي تفرزها هذه المادة الأكاديمية على السلم والوفاق العالمي والتسامح وقبول الآخر تبدو لا حدود لها.

٢- تنمية الثقافة الدينية بالقراءة الحُرّة والمقصودة الرسمية لأدبيات المرأة والطفل والأسرة، والديمقراطيةوحقوق الإنسان. وهنا، نقترح على أنظمة التعليم العالمية طرح مقرر في "المرأة والطفل والأسرة"

في المدرستين: رياض الأطفال والمدرسة الابتدائية، يدرس خلاله الأطفال مختلف المفاهيم والخصائص او المواصفات البناءة والأدوار والمسؤوليات والواجبات والعلاقات العضوية فيما بينها لإنتاج المواطن الصالح ومؤسسة العمل والمجتمع. وأخيراً، نقترح طرح مادة ثالثة في المدرسة الثانوية باسم: **"الديمقراطية وحقوق الإنسان"**، يتعلم فيها الطلبة كافة المفاهيم والمبادئ والقوانين والتطبيقات في هذين الموضوعين الحاسمين لكرامة الناس وحياة العصر.

تحييد التطرف الديني بعولمة الاتصال والتواصل الإنساني

ان التواصل غير المشروط مع الناس في الأديان الأخرى بالحديث المباشر معهم وعبر الانترنت، وفي اللقاءات غير الرسمية العابرة وفي حلقات المناقشة والحوار هو واجب على كل مسلم ومسلمة (وكل شخص في المجتمعات العالمية الأخرى) اذا أردنا بالطبع فهم الآخر والعيش السلمي المشترك معاً. ان الحديث المتواصل مع الآخرين يؤدي الى معرفة طبائعهم وما يشغلهم من أولويات وحاجات وما يتصفون به من أخلاقيات.. الأمر الذي يسهل من آليات التعامل والتكيف معهم.

إن حوار الحضارات والأديان يجسد جوهر هذا المطلب النفس اجتماعي الهام. ونعتبر في هذا الإطار أحداث العنف المدمرة والاعتداءات الدموية وأعمال التحرش الديني الأعمى التي تشنها جماعات متطرفة من طوائف وأديان متنوعة عبر العالم ضد أخرى في بلادها وفي الخارج، هي ظاهرة سلبية يتوجب وقفها محلياً من الدول الوطنية وبالتعاون مع الدول والمنظمات الدولية ذات العلاقة. ويجب أن يتعلم هؤلاء المتخاصمين بواسطة الحوار والإقناع والتفاهم والتفهم ان الكون يتسع لهم جميعاً، وأن أي فرد وفئة او مجموعة منهم يمتلكون بحكم الولادة والنشأة والعرق والجوار الثقافي والجيوسياسي المشترك نفس الحق في العيش السلمي معاً، وفي حرية التعبير المدني والملكية الفكرية والمادية والاعتقاد والعمل والأمل في التقدم للمستقبل.

وليتعظ جميع هؤلاء من تعاليم أديانهم المدنية وأحكام إدراكهم المنطقي و"الأبهة الثقافية- الحضارية" التي أفرزتها أديانهم عبر العصور التاريخية المتعاقبة، حيث ساد سلوك الناس على المستويات الرسمية والشعبية مبادئ التسامح والعفو وقبول الآخر وشغف المعرفة والكشف والإبداع والتعامل المستنير مع الأقوام والأعراق المتنوعة. وهكذا كانت الحضارات المزدهرة للصينيين والهنود والفراعنة والسومريين والبابليين والفرس واليونان والرومان والعرب- المسلمين وعصر النهضة الأوروبية والاكتشافات الجغرافية ثم الحضارة الغربية الصناعية والمعلوماتية المعاصرة.

إن النكوص الحضاري الراهن لمختلف الأمم والشعوب، وأعمال العنف الدموي التي ترتكبها بالإرهاب والعدوان وشن "الحروب الوقائية" والرد بأساليب ووسائل ثأرية أشد فتكاً،، هي مؤشرات غير حميدة نظراً:

---

§ لخروج الدول والشعوب عن تعاليم معتقداتها المدنية،

§ وجهل الناس للأديان الأخرى في نفس البيئة والبيئات خارجها،

§ وندرة الاتصال والتواصل بين الجهات المتنوعة في نفس البيئة وفي البيئات خارجها،

§ وجهل الأطراف لأهداف وحاجات الجهات الأخرى في نفس البيئة وفي البيئات خارجها كإحدى نتائج ندرة الاتصال والتواصل آنفًا، ثم،

§ الانجرار الأعمى وراء قيادات مصلحية أو فتاوى وقرارات جاهلة غير مدروسة، همّها الاستراتيجي كما يبدو خلط الأوراق والأجندات المذهبية والسياسية في بيئاتها وعبر العالم لإلهاء الشبيبة والأتباع في تقتيل بعضهم أو/ واستمرار خلافاتهم البينية، الأمر الذي يسهل على هذه القيادات النفعية الحفاظ على مرجعياتها الرسمية والبقاء في السلطة أيًا كان نوعها ومجالها دون مقاومة تّذكر.

ونؤكد أنه إذا أريد االتوقّف عن أعمال التطرف والإرهاب، يتوجب أولاً من الدول والشعوب التوقف بصفة عاجلة عن المآخذ الأربعة أعلاه.

يروي بول مارتن(٤)، مدير الشؤون الدينية ومركز خدمة المجتمع في جامعة كولومبيا الأمريكية "أن مكتب الطلبة اليهود ومكتب الطلبة الكاثوليك متقابلين مباشرة ولا يفصلهما سوى ممر ضيق. وبالرغم من مشاهدتي الطلبة يدخلون ويخرجون باستمرار من مَكتَبيْهم طيلة أربع سنوات، إلا أن المحزن كان في ندرة من يعرف منهم ما يجري في المكتب الآخر ولا التقاليد الدينية التي يعتقدونها"!

وتتفق منظمة غالوب الأمريكية The Gallup Organization(٥) مع نفس الاتجاه، مفيدة عمومًا ان جهل الناس في التعامل مع الآخر عمومًا ومن أديان وثقافات مختلفة بوجه خاص؛ وتبني سياسات غير مُنصفة، وسوء الفهم الذي قد ينشأ أحيانًا لأتفه الأسباب بين الأمريكان والمسلمين،، يعود في جوهره حسب نتائج استطلاع أجرته ٢٠٠٥-٢٠٠٦ على بليون شخص (ألف مليون) موزعين في دول عبر جميع قارات العالم،، إلى ضعف التواصل والمعلومات المُحَرّفة عن الآخر وعدم معرفته كما ينبغي.

وإعتاد المؤلف/ الباحث الحالي بنفس السياق طيلة ثلاثين سنة جامعية حَثّ

الطلبة على أهمية الحديث وتبادل المعلومة والرأي مع الآخر حتى تمكن معرفته وفهمه والنجاح في التكيف والتعامل المشترك معه،، مؤكداً هنا: "أنك لو جلست بجانب زميلك الآخر عشرين سنة دون ان تتحادث معه، فسيبقى الواحد منكما غريباً ومجهولاً عن الآخر فكرًا وميولاً وتصرفًا".

تحييد التطرف الديني بعولمة الإنصاف وقبول الآخر والتسامح المشترك

وهنا يتبنّى الفرد ميولاً منفتحة على الآخر المُتنوع. وهذا لا يتأتى إلا بالانفتاح على معتقده ومعرفته الشخصية بالتواصل والأخذ الرد معه بالعمليات التالية:

- أن تُنْصف نفسك بما لها وما عليها ثم تطبيق ذات معادلة الإنصاف في التعامل مع الآخرين.

- أن تقبل وجودك بما لها وما عليها في البيئة التي تعيش فيها، سواء كانت هذه محلية أو خارجية. يتدرج هذا القبول في مستويات نفس إجتماعية، تبدأ بأدنى درجات القبول وهو التعايش أو العيش بحياد مع الناس في البيئة، ثم التكيف معهم، وتقديرهم، والالتزام بأعرافهم وقوانينهم، والتعاون المشترك معهم بالتزاوج منهم وتأسيس مصالح عملية معهم، ومشاركتهم بما يمكن لتقدمهم ثم الاندماج في حياتهم اليومية ومصيرهم كأرفع أنواع ودرجات قبول الإنسان للآخر قريبًا او غريبًا.

- أن تتسامح مع وجود الآخر المُختلف في أي شيء أو صفة سواء كان ذلك في العرق أو اللون أو الثقافة أو الدين أو الاقتصاد أو التعليم أو الصحة أو غيرها. عندئذ يصبح التسامح مع المعتقدات الأخرى ممكنًا.

هوامش الدراسة

1- Arab News. Mumbai Muslim Girls Terrorized by ‘Moral Police’ Shahid Raza Burney. India, June 2007. Retrieved June 2008.

2- Sri Lankan News & Discussions. Muslim youth Terrorize Kattankudy. Wednesday, October 2006. Retrieved June 2008 (LankaNewspapers.com)

3- Soharwardy , S . War of psychopaths and Role of Islam .

obeikandi.com

Mulims Against Terrorism ,Jan .2008 . Retrieved Feb , 2008

4- J. Paul Martin. Religious Freedom and Civic Education. Center for the Study of Human Rights. delivered at theInternational Coalition for Religious Freedom Conference on "Religious Freedom and the New Millenium". Washington DC, April 17-19, 1998. Retrieved June 2008. (www.religiousfreedom.com).

5- The Gallup Organization, Princeton, NJ. How citizens of the United States and predominantly Muslim Nations see each other- Hearing the voice of a Billion. Middle East and North Africa, 2006. Retrieved June 2008.http://www.brookings.edu/

---

* * * * **

obeikandl.com